جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
ماجستير تأريخ اسلامي

مادة

تاريخ اسيا الوسطى

محاضرة 10

النشاط الاقتصادي في إقليم ما وراء النهر

الأستاذ الدكتور

رغـــد عبـد النبـي جعفـر

2026 -2025

المحاضرة العاشرة // النشاط الاقتصادي في إقليم ما وراء النهر

ان المتفحص لقراءة مضامين الصلح بين الولاة واهل البلاد المفتوحة ، يلاحظ ان سياسة الدولة العربية الإسلامية قد اتسمت بالشمولية ، فبالنسبة للزراعة لم تستثني الدولة العربية الأراضي المرتفعة والبعيدة بل اعتبرتها كلها موارد اقتصادية لبيت المال ، فالأراضي السهلية تزرع ، والجبلية تنتج الثمار ، لان خراج الأرض كان يعد اهم مورد اقتصادي لبيت المال ، ذلك ان ازدهار النشاط الاقتصادي يعني زيادة الواردات في بيت المال (1)، والظاهر ان الدهاقين كانوا ذو نفوذ اداري كبير في خراسان ، وقد كان هؤلاء الدهاقين خبرة في احياء الأرض وزراعتها واستغلالها للإنتاج الزراعي ، فقد كانوا يعتمدون على أسلوب النظام الاقطاعي في العمل الزراعي ، لكن سرعان ما تلاشى هذا النفوذ بقدوم العرب الفاتحين، فالأرض أصبحت ملكاً للامة التي نظمت وفق القانون الفقهي الإسلامي الخاص بالأراضي المفتوحة (2).

ففي **العصر الاموي** انصب اهتمام الخلفاء على حفر الأنهار باعتبارها سبب عمران الأراضي ، ففي سنة (88هـ/707م) كتب الخليفة **الوليد بن عبد الملك**(86-96هـ/705-714م) كتاباً الى جميع بلدان الخلافة يحثهم على الاهتمام بحفر الأنهار وتسهيل الطرق (3)، فضلاً عن ان ولاته انتهجوا سياسة خليفتهم ، اذ اقدم **الحجاج** على مساعدة الفلاحين من خلال تقديم القروض المالية لهم ، كما انه كتب الى **قتيبة بن مسلم الباهلي** عندما شكى له نقص الغلات بسبب كثرة الجراد **" اذا ازف خراجك فانظر رعيتك في مصالحها ، فبيت المال اشد اضطلاعاً بذلك من الارملة واليتيمة وولي العيلة "** (4) . هذا وقد واجهت الزراعة في العصر الاموي مشكلة الهجرة من الريف الى المدينة ، فضلاً عن اسلام كثير من اهل الذمة الذين لحقوا بالأمصار ، مما دفع الولاة الى الكتابة بأن **" الخراج قد انكسر "** (5)، وهذا تطلب من الدولة التدخل وإصدار الأوامر التي تنظم عملية الهجرة ، حتى لا تتأثر موارد الدولة وتضعف الزراعة .

واولى **العباسيون** الزراعة اهتماماً كبيراً ايضاً ، ولما كانت الزراعة تعتمد على الري فقد عنوا بتنظيم اساليبه ، وبلغ هذا النظام شأناً عظيماً من الدقة ، ذلك من خلال الاهتمام بكري الأنهار وصيانة السدود والترع (6). فقد عرف عن الخليفة **المعتصم بالله** (218-227هـ/833-841م) حبه للعمارة في الأرض ، فيذكر **المسعودي** (7) **" كان المعتصم يحب العمارة والبناء وهو يرى فيها اموراً محمودة فأولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم ، وعليها يزكو الخراج وتكثر الأموال وتعيش البهائم وترخص الأسعار ويكثر الكسب ويتسع العيش "** وتنقل المصادر عن **المعتصم** انه انفق مليونا درهم في اعمار وكري نهر لأهل الشاش كان قد درس في صدر الإسلام مما اضر بمصالحهم الزراعية ، فقد ذكر **ابن الاثير**(8) ان **القاضي احمد بن ابي داود** قال **" واخذت لأهل الشاش منه الفي الف درهم لعمل نهر كان لهم اندفن في صدر الإسلام فضر بهم "** وعمل المعتصم كذلك على الحفاظ على الواحات المزروعة من هجمات البدو وذلك

بإحاطتها بأسوار مبنية من الطين ، اذ يذكر **البلاذري** (9)ان **" اسبيجاب بنيت حولها سوراً يحيط بكروم اهله ومزارعهم في خلافة المعتصم بالله يحفظ اهله من هجمات الترك "**
فلا غرابة اذن ان نرى ان امراء الامارات المستقلة في خراسان وبلاد ما وراء النهر قد اولوا الزراعة ايضاً عناية كبرى ، **فالإمارة الطاهرية والامارة السامانية** كانت من اخصب أقاليم الدولة العربية الإسلامية وأكثرها ثراءً واوسعها ماءً وأكثرها خراجاً(10) . اذ يذكر **فامبري**(11) ان **" الأمير السامانى جلب الماء الى بخارى في قنوات اجروها له وذكر منها احدى عشرة قناة ينسب بعضها الى امراء سامانيون حفروها "** ، فضلاً عن الاهتمام بنظام الري والمحافظة عليه فقد أوقفت مجموعة من الضياع تكون وارداتها لإصلاح تلك الأنظمة واعفائها من الخراج (12).
والى جانب الزراعة انتشرت تربية الحيوانات في كل انحاء إقليم ما وراء النهر ، لتوفير الالبان واللحوم من جانب ، ومن جانب اخر لتجهيز الزراعة والري بالحيوانات العاملة ، فضلاً عن تقديمها المواد الأولية للإنتاج الحرفي ، وكذلك تربية الابل التي كانت تستخدم في النقل التجاري بين الدول والمدن ، اذ تحمل البضائع الى مناطق بعيدة (13)
وقد انتشرت المراعي الجيدة لتربية الحيوانات في بلاد ما وراء النهر ، فوصفت مراعي **الشاش** بخصوبتها، اما مراعي **فرغانة** فوصفت بالكثرة ، وكذلك **ايلاق** كانت كثيرة المراعي ، اما المراعي بين **الشاش واسبيجاب** فكانت تدعى بـ(**القلاص**) وهي برية واسعة فيها مراعي جيدة (14)، واشتهر **إقليم الصغد** وخاصة **مدينة بخارى** بجودة اغنامه (15)، ووصفت **مدينة ترمذ** بكثرة لحوم اغنامها وكذلك الالبان (16)
اما حيوانات الركوب والنقل فشملت الخيول والبغال والجمال ، فاشتهرت **بلاد الختل** بكثرة خيولها (17) وامتاز الجمل في بلاد ما وراء النهر بأنه ذي سنامين ، اذ يعد **إقليم خوارزم** الموطن الأصلي لهذا النوع من الجمال (18) ، اما البغال فاشتهرت بها مدينة **كش وبذخشان وفرغانة** التي وصفت بالكثيرة (19)
هذا وقد حبى الله مدن إقليم بلاد ما وراء النهر بنعم وافرة، اذ اشتهرت كل مدينة بإنتاج سلع تجارية معينة تحتاجها المدن الأخرى ، مما اسهم في انعاش الحراك التجاري بين المدن من اجل ان **" يسافر هذا الى بلد هذا ويتمتع قوم بأمتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير "** (20) .

وسنشير هنا الى بعض اسماء المدن واشهر صادراتها وحسب الاقاليـم :

اولاً : إقليم الصغـد

1-**بخارى :** كانت بخارى من مراكز انتاج القطن المشهورة وتمتلك اشهر أسواق القطن العالمية ، التي تصدر افخر أنواع البسط والسجاد التي كانت تزين بمجموعة من الرسومات مثل الزهرة المدورة او اشكالاً ثلاثية تمثل عَلاقات ، يستخدمها فلاحوا بلاد ما وراء النهر في وسم مواشيهم (21)، فضلاً عن سجاد الصلاة الجيد والثياب الرخوة وثياب الفرش ، وكانت تنسج في محابسها حزم الخيل ، كذلك يصدر منها الشحم ودهن الرأس وجلود الضأن الى الافاق (22).
2-**سمرقنـد :** يعد الورق من اشهر صادراتها ، ويعمل فيها الثياب الحمر والديباج القز ، ومن صادراتها ايضاً القدور العظيمة من النحاس ، وكذلك السروج والاحزمة والسيور ، ويحمل من رساتيقها الجوز والبندق (23).

3-**كرمينيـة** : تصدر المناديـل (24)
4-الدبوسيـة : تصدر الثياب والديباج (25)
5-**كـــش** : تصدر الملح ، والفواكه التي تصل الى بخارى وسمرقند ، وكذلك تصدر البغال الجيدة ، وتوجد في جبالها العقاقير الكثيرة (26) .

ثانياً : إقليم خوارزم

تنوعت صادراتها بين الطعام والفواكه والحبوب ، فضلاً عن القطن ، ويصدر الإقليم صوف الأغنام
، ومن غلاتها الشمع ولحاء الشجر والعنبر والعسل والبندق والسمسم ، كذلك شملت صادراتها النشاب والدروع والقسي التي وصفت بالقوة واقفال الحديد والسيوف ، لكن اهم تجارات إقليم خوارزم هي جلب الرقيق ، اذ كانوا يشترون أولاد وبنات الاتراك من بدو البراري ويبيعونهم في أسواق النخاسة (27)
1-**كاث** : عاصمة إقليم خوارزم كانت تصدر غطاء الوسادة والاثواب القطنية وقماش الكرباس واللباد واللبن المجفف (28)
2- **الجرجانية** : في أسواقها نجد اشهر أنواع الفراء واغلاها ، وكذلك جلود الارانب المدبوغة (29)

ثالثـاً : إقليم الصغانيان

1-**بذ خشان** : اشتهرت بمناجمها للمعادن الثمينة مثل (معادن البلخش المقاوم للياقوت والبلور الخالص والذهب والفضة والعقيق واللازورد) (30)
2-**الختـــل** : فيها الخيول ودواب الحمل ، ويكثر فيها القمح والفواكه (31)
3-**شومان** : ينبت في أراضيها الزعفران ، ويصدر الى الخارج (32)
4-**واشجرد** : تصدر الزعفران الى كثير من النواحي والبلدان (33)

رابعـاً : إقليم فرغانـــة

1-**اخسيكث** : عاصمة إقليم فرغانة كانت تشتهر بمعادن الذهب والفضة ، وذلك لوجود مناجم هذه المعادن في جبالها ، ويرتفع من بساتينها الاعناب والجوز والتفاح ، ومن الرياحين : الورد والبنفسج (34)

خامسـاً : إقليم الشاش

1-**بناكث** : اشتهرت بإنتاج الثياب المعروفة بـ " التركستانـــية " (35)
2-**اسبيجاب** : اشتهرت بتصدير الثياب البيض والات السلاح والسيوف ، ومعادن النحاس والحديد ، فضلاً عن كونها مصدرة لقماش اللباد(نوع من القماش تصنع معظم أنواع من الياف الصوف) وصوف الأغنام
(36)
3-**ايلاق** : اشتهرت بكثرة مناجم المعادن الثقيلة من الذهب والفضة (37) .
4-**طراز** : تصدر الفراء وجلود الماعز ، فضلاً عن كونها مركز تجاري لتصدير البضائع الى الاتراك(38)

سادساً : إقليم اشروسنــة

اشتهرت بصناعاتها الحديدية والتي تصدر على شكل صفائح حديدية الى العراق وخراسان ، ومن احدى قرى اشروسنة وهي (**دزك او ديزك**) كانت تصدر اللبود الجياد والاقبيــة (39) .

اما **أسواق** مدن بلاد ما وراء النهر فقد امتازت بكونها مراكز لتصريف البضائع والسلع بين القرى والرساتيق، فضلا عن كونها مراكز جذب تجاري للبضائع التي يحتاجها اهل المدن والارياف على حد سواء (40) ، فأسواق سمرقند كانت تتمركز حول القناة الرئيسية التي تدخل المدينة عند موضع يعرف **برأس الطاق** وهو سوقها الرئيسي لذا كانت مركز جذب سكاني كبير(41) . اما مدينة **بخارى** التي يخترقها نهر الصغد وتقع عليه أسواق المدينة ، فقد كانت أسواقها مركزاً تجارياً نشطاً حيث تلتقي فيها التجارات القادمة من الصين واسيا الغربية مع المشرق (42) ، وكانت مدينة **كاث** في خوارزم ايضاً ذات أسواق عامرة (43)، اما أسواق مدينة **هزار اسب** فكانت يحيطها المياه وتجارها اهل ثروة ، **وايلاق** في الشاش فأسواقها تقع على ضفة نهر برك كانت عامرة وجباياتها وافرة (44)، وتقع أسواق مدينة **سرسندة** احدى مدن إقليم اشروسنة على ضفتي نهر سارين ويعقد عليه جسور صغار لعبور المارة (45) .
وقد امتازت أسواق بلاد ما وراء النهر بأن لها نظماً وعادات مألوفة لدى اهل المدن ، ذلك ان واقع السوق ووجوده ونشاطه التجاري بات متصلاً بالمدينة الواقع فيها من حيث أهميتها الزراعية والصناعية ، فكانت الأسواق تفتح أبوابها صباحاً كل يوم زاخرة بمعروضاتها التجارية حتى المساء ، اذ تقفل ويبقى الحراس لحمايتها من اللصوص ويطلق على هذ النوع من الاسواق بـــ " الدائميــة " (46) ، وهناك ايضاً اسواق وقتية لفترة محددة من الأسبوع او الشهر او السنة تدعى بـــ " الاسواق الموسميــة " (47) ، و كانت بخارى من ابرز المدن التي يقام فيها مثل هذه الأسواق ، حتى انه قد ضرب المثل بذكاء وفطنة تجارها فيقال **" اشد فطنــة من سمسار بخارى "** (48) .
وكانت اسواق العراق من اهم الأسواق التي تتعامل مع أسواق مدينة بخارى ، اذ كانت تستورد منها البضائع المختلفة خاصة الثياب القطنية والصوفية والفرش ومصليات المساجد (49) .

اما عن **طرق نقل البضائع التجارية** فقد كانت الأنهار من اهم وسائل النقل داخل بلاد ما وراء النهر عبر نهري سيحون وجيحون وفروعهما ، فتسير المراكب حاملة أنواع البضائع الى الأسواق المختلفة ، هذا وقد امتازت معظم انهار وقنوات الإقليم بأنها صالحة لسير السفن التجارية الكبيرة (50) .

وكان **للموانئ التجارية** على ضفاف الانهار دوراً مهماً في عملية التبادل التجاري بين مدن الإقليم ، واشهر هذه الموانئ **سمرقند وترمذ** على نهر جيحون ، فكان ميناء **سمرقند** مجمع للسلع التجارية المطلوبة من التجار لنقلها الى أسواق مدن العالم الإسلامي(51) ، وكان تجار الختل والصغانيان يفدون الى **ترمذ** من اجل استيراد البضائع التجارية المعروضة بالميناء خاصة الصابون والحصير الأخضر اللون والمراوح ، اما تجار خوارزم فكانوا يسافرون الى مدينة **ترمذ** لاستيراد مادتي القمح والشعير التي تنقل بواسطة المراكب على نهر جيحون (52) .

المصادر والمراجع :

1- الدليمي ، محمد حسن سهيل ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد ، 2010 ، ص 210

2- المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت نحو 355هـ/965م) ، البدء والتاريخ المنسوب لابي زيد احمد بن سهل البلخي ، اعتنى بنشره وترجمته : كلمان هوار ، باريس ، 1907م ، ج 5 ، ص 216 ؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ/1058م) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،د.ت ، ص 230 ؛ الدليمي ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر، ص 211-212

3- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا(ت 709هـ/ 1309م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت ، 1966م ، ص 127

4-ابن عبد ربه الاندلسي ، أبو عمر احمد بن محمد(ت 328هـ/ 939م) ، العقد الفريد ، ط2 ، القاهرة ، 1948م ، ج 4 ، ص 300

5-الدليمي ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر ، ص 216

6-حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الثاني) ، القاهرة ، 1958م ، ج 3 ، ص 319-320

7- أبو الحسن علي بن الحسين (346هـ/957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق امير مهنا ، بيروت ، د.ت ، ج 2 ، ص 244

8- محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ/1232م) ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، سنة (1398هـ/1978م) ، ج 5 ، ص 490

9- أبو الحسن احمد بن يحيى (ت 279هـ/892م) ، فتوح البلدان ، وضع حواشيه: عبد القادر محمد علي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة(1420هـ/2000م) ، ص593

10- الدليمي ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر ، ص 219

11- ارمنيوس ، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمه وعلق عليه:احمد محمود الساداتي ، راجعه وقدم له : يحيى الخشاب ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ،سنة 1873م ، ص 109

12- الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت 348هـ/957م) ، مسالك الممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، 1966م، ص 177 ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت367هـ/977م) ، صورة الأرض ، بيروت ، د.ت، ص 406-409

13- المقدسي ، محمد بن احمد البشاري(ت 375هـ، 985م) ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ،1909م، ص 325 ؛ لسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله للعربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، سنة (1373هـ/1954م) ، ص 515

14-الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص 188 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 416-418

15-الدليمي ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر ، ص 292

16-المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 325

17- مؤلف مجهول ، حدود العالم من المشرق الى المغرب ، باهتمام : د. منو جهر ستوده ، ترجمة : اسراء سبهان القيسي ، بغداد ، 2002م ، ص 98

18-لومبار ، موريس ، الإسلام في عظمته الأولى ، ترجمة ياسين الحافظ ، بيروت ، 1977م ، ص 149

19-ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 413 ؛ الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت600هـ/ 1203م) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ج 1 ، ص 413 ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، 531

20--ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر احمد بن محمد (ت 365هـ/ 975م) ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، 1885م ، ص 251

21-مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 95 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص418 ؛الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 2 ، ص 704

22- خطاب ، محمود شيت ، بلاد ما وراء النهر ، ط 4 ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –دمشق ، سنة (1411هـ/1990م) ،ص 24-25

23-مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 90 ؛ الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص 178

24- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 324

25- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 325

26-مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 91 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 413

27-خطاب ، بلاد ما وراء النهر ، ص 34-36

28-مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 101

29- خطاب ، بلاد ما وراء النهر ، ص 34-36

30- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 88 ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 1 ، ص 478

31-- خطاب ، بلاد ما وراء النهر ، ص43

32- خطاب ، بلاد ما وراء النهر ، ص44

33-ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 394 ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 1 ، ص 491

34- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 94

35- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 325

36- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 92 ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 325

37- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 92 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 418 ، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 2 ، ص 704

38- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 325

39- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 92 ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 324

40- الدليمي ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر ، ص 330

41- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 90 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 406 ؛ بارتولد ، تركستان ، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية ، اعداد وتقديم: احمد الشنتاوي واخرون ، ج5 ، ص 172-182

42- الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص 171 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 399

43- الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص 171 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص394-395 ؛ بارتولد ، تركستان ، ص 251

44-الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 2 ، ص 507 ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابن أبي عبد الله (ت626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت ، ج 5 ، ص 404 ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص 494

45-ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 420 ؛ بارتولد ، تركستان ، ص 280

46-الحديثي ، قحطان عبد الستار، أسواق المدن الخراسانية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 30 ، السنة الثانية عشرة-1986 ، ص 115

47- النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت 348هـ/959م) تاريخ النرشخي ، ترجمه وحققه وقدم له : د. امين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، مصر ، د.ت . ص 28 ؛ البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد (ت 440هـ/ 1048م) ، الاثار الباقية عن القرون الخالية ، مطبعة ليبزك ،1923 م ، ص 235

48-فامبري ، تاريخ بخارى ، ص 25

49- الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص 176 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 404
50-الدليمي ، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر ، ص 338
51- الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص 176 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص407 ؛ بارتولد ، تركستان ، ص 294-295
52- مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص 91 ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص325